الرقم الدولي المعياري للمؤتمر ـــــ (معتمد ومصنف دوليًا) ـــــ ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المجلس الدوليّ للّغة العربيّة

الموتمر الدولي التاسع للغة العربيّة

6–8 نوفمبر 2023

دبي – الإمارات العربيّة المتّحدة

بحث بعنوان:

الآثار البلاغيّة في الهدايات القرآنيّة

إعداد

الدكتور أبوبكر يحيى الذهبي

بيروت– لبنان

144هـ – 2023م

المقدّمة

قال شيخ الإسلام: «وكونُ القرآن أنّه معجزة ليس هو مِن جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا مِن جهة إخباره بالغيب فقط، ولا مِن جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا مِن جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط، بل هو آية بيّنة معجزة مِن وجوه متعدّدة: مِن جهة اللفظ، ومِن جهة النظم، ومِن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومِن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك».

فمن الناس من يبحث فيه عن الأوامر والنواهي والشرائع والأحكام، ومن الناس من يغوص في معرفة أخبار الجنّة والنار والثواب والعقاب، ومنهم من يتأمّل ما فيه مِن اللفتاتِ الفنّيّةِ وجوانب الجمال في النسَق والنَظْم والسياق وحُسن تركيب الكلام والآيات، وتركيب الجُمل في الآية الواحدة والمقطع والسورة، ومِن مهتمٍّ بما فيه مِن معارفَ وعلومٍ وأخبار، وما تضمَّنه مِن الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، أو الغيب أو قصصِ مَن سبق مِن الأمم والأحداث، ومِن متتبِّعٍ لصور الإعجاز العلميّ والطبّيّ، والإعجاز الاقتصاديّ، والتشريعيّ، ونحوه. ومن الناس من يتتبَّع ما في القرآن مِن وجوه البلاغة والفصاحة والبيان.

تعريف الهدايات القرآنيّة

إلا أنَّ بابًا مِن أعظم أبواب العلم والخير جديرٌ بأن نلفتَ النظر إلى الاهتمام به في رحلة التدبُّر والتفسير القرآنيّ، وهو يُسهم في تحقيقِ شيءٍ من أعظم مقاصد نزول القرآن؛ وهو ما يُعرف بـ «الهدايات القرآنية»، فكتاب الله تعالى جاء بالهدى والنور، يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾، ومِن أظهر أوصافه أنَّه كتاب هداية: قال تعالى في وصفه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقال في معرض ذكر مقاصد تنزيله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾، بل وصَفَه الجنُّ حين استمعوا إليه بأنَّه كتاب هداية فقال تعالى حكاية عنهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾.

المراد بالهدايات القرآنيّة وضوابطها

الهدايات القرآنيّة هي الدلالات المبيّنة لما تضمّنه القرآن من إرشادات تميّز الحقّ من الباطل، وتوصل لكلّ خير وتمنع من كلّ شر، من العلم النافع والعمل الصالح؛ وذلك يشمل أبواب الاعتقادات والعبادات والمعاملات، وجوانب الأخلاق والحكم والسياسة والاقتصاد، وسائر الأمور الدينيّة والدنيويّة.

والثمرة من تتبُّع الهدايات القرآنيّة هي إخراجُ المستهدي بها من الظلمات إلى النور، وهدايتُه إلى التي هي أقوم في الاعتقادات والعبادات والمعاملات، لذا يَشترط أهل العلم لصحّة الهدايات شروطًا يجب مراعاتها عند التناوُل والتأمُّل، ومن أهمّها:

- أن يحتمِل المعنى المستنبطَ ظاهر لفظ القرآن.

- ألّا يخالف صريحَ القرآن وصحيحَ السنة.
- أن تُبنى الهداية على معنًى تفسيريٍّ ولغويٍّ صحيح، فلا يخوضُ في الهدايات بلا أهليةٍ وتأصيلٍ كافٍ في اللغة والأصول والتفسير وغيره.
- ألّا يخوض فيما استأثر الله بعلمه.
- أن يجرّد نفسَه من الهوى إلى غيرها من الضوابط والشروط، وإلّا فإنّ المرء سيضلّ من حيث أراد الهداية، ويزيغ ولا يهتدي.

الفرق بين التفسير والهدايات

علم التفسير يهتمُّ ببيان معاني القرآن العظيم، بما نُقل في كُتُب التفسير عن السلف بفهم أصحاب القرون المفضَّلة، أمّا علم الهدايات فيهتمّ بما تهدي إليه الآيات من دلالاتٍ وإرشاداتٍ عِلميةٍ وعَمَليّة في كلّ الأزمان؛ فالتفسير كالقاعدة والمقدِّمة، والهداياتُ غايةٌ، وبدون معرفة التفسير الصحيح لا يُمكن الوصول إلى الهدايات القرآنيّة الصحيحة.

تقسّم الهدايات القرآنيّة إلى: هداياتٍ جزئيّةٍ تفصيليّة، وأخرى كلّيّةٍ شاملة.

يُراد بالهدايات الجزئيّة: «الإرشادات المستخرجة بطرقٍ علميّةٍ من ألفاظ القرآن وجُمَله وأوجُه قراءته وأساليبه وما يتعلّق به من قرائن». فهي تتناول الجملة أو الآية من القرآن وتتعلّق بمعنى تفصيليّ جزئيّ كالهداية إلى حكمٍ شرعيّ في العبادات أو المعاملات أو إلى خُلُق أو توجيه تربويّ خاصٍّ أو هدايةٍ في الاعتقادات أو التصوُّرات المعرفيّة السلوكيّة. ويشمل ذلك الهدايات الظاهرة من الآيات التي لا تحتاج إلى تفسيرٍ لوضوحها، أو الهدايات من الآيات التي تحتاج إلى تفسير حتّى يُمكن الاستنباط منها، وللعلماء طرقٌ كثيرةٌ في استخراج الهدايات الجزئيّة، كالنظر في اختلاف الأقوال في التفسير والقراءات في اللفظة أو الجملة أو الآية، وجمع ما نقله المفسّرون عن السلف فيها، والنظر في منطوق الألفاظ ومفهومِها ولازمِها، أو النظر في اختلاف الإعراب؛ إذ به يتغيَّر المعنى فتتنوَّع الهدايات المستفادة منه، كما أنَّ ربط الآيات بالواقع من أكثر ما يُعين على استنباط الهدايات وينمّي فيها المعاني واللطائف.

أمّا الهدايات الكلّيّة: فهي «الإرشادات المستخرجة بطُرُقٍ علميّةٍ من مجموعة آياتٍ في سورة واحدة أو أكثر في معنى يضمُّها»، فهي تهتمُّ بتسليط الضوء على المقاصد الكبرى والمحكمات الشرعيّة العظمى، وتهتمُّ بالأولويات العليا للقرآن الكريم، وتؤكّد على الغايات التي لأجلها نزل القرآن مما هو متّفقٌ عليه بين علماء المسلمين، وتأتي كالقواعد الكلّيّة المحكمة العامّة التي يندرج تحتها عشرات الهدايات الجزئيّة، والتي تجمع بينها بتناسُبٍ وانسجامٍ كامل. وبحثنا هذا ستكون الهدايات الجزئيّة هي مداره ومجاله.

أهمّيّة الموضوع

الهدايات القرآنيّة مشروع علميّ حضاريّ دينيّ يجدّد علاقة الأمّة بوحي السماء، ويربطها ربطًا متينًا بالقرآن الكريم، ويأخذ بها إلى برّ الأمان، عبر عرض جديد لأغراض الآيات وأهدافها واستنباط حديث لمدلولات غابت عن العرض، مرتكزًا على فهم السلف للقرآن الكريم، وشروح علماء التفسير، مُقدَّمًا بقالب جديد يتوافق مع متطلّبات العصر والحياة؛ فقد قال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وخدمة لهذا المشروع "الهدايات القرآنيّة" أطلقت جامعة أمّ القرى ممثّلة في كرسيّ الهدايات القرآنيّة مشروعها العلميّ العالميّ

(الموسوعة العالميّة للهدايات القرآنيّة) والذي يتكوّن من (60) أطروحة دكتوراة مقسّمة على أحزاب القرآن وسوره، يتمّ تنفيذها بمشاركة عدد من الجامعات في شتّى أنحاء العالم، لاستخراج 200 ألف هداية تهدي المسلمين لأفضل الأعمال والأخلاق.

وقد كان لي شرف مناقشة إحدى هذه الأطاريح، فلفتتني الفكرة والمضمون والأسلوب. وبحكم اختصاصي واهتماماتي لفتني الجانب اللغويّ من الدراسة، وتحديدًا الوجوه البلاغيّة ممّا يندرج تحت علم البيان: كالحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة، أو علم المعاني: كالخبر والإنشاء والقصر والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وصيغها وأغراضها، أو علم البديع: كالمحسّنات اللفظية من جناسٍ واقتباسٍ وسجعٍ وتوريةٍ وطِباقٍ ومقابلةٍ وأساليب بلاغية أخرى، كالاحتباك والالتفات، والتمثيل والسخرية والترغيب والترهيب والتأكيد وغيرها...

الجديد في البحث والدراسات السابقة

لا أدّعي أنّني السبّاق في هذا المضمار ولا يمكن لي ذلك، فالمشتغلون بالقرآن الكريم وعلومه منذ عشرات السنين بالآلاف، لكنّ الجديد في هذا البحث هو مشروع الهدايات القرآنيّة الذي أطلقته جامعة أمّ القرى كما سبق وذكر، ومحاولة ربط علم البلاغة بهذه الهدايات وإظهار دورها في الكشف عن هذه الهدايات، انطلاقًا من كون علم البلاغة أحد علوم الآلة. وما حاولت فعله هو التوفيق بين ما وضعه الأقدمون وما استنتجوه من مظاهر الصور البلاغيّة في القرآن الكريم وبين الهدايات القرآنيّة المستنبطة قديمًا وحديثًا، بالإضافة إلى زيادات وجدتها ضروريّة من خلال البحث والتحقيق والتبصّر والتدقيق في الموضوع.

وممّن كتب وألّف في الهدايات:

- **تفسير تيسير الكريم الرحمن**، للسعديّ.
- **نظم الدرر**، للبقاعيّ.
- **التحرير والتنوير**، لابن عاشور.
- **طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنيّة وصياغتها**، لطه عابدين طه حمد.
- **تقريب الهدايات القرآنيّة**، لمحمد المطري.
- **الهدايات القرآنيّة: دراسة تأصيليّة**، لطه عابدين طه حمد، وياسين بن حافظ قاري، وفخر الدين الزبير علي.

بالإضافة إلى العديد من الأطاريح التي أنجزت حديثًا بحسب الأجزاء والأحزاب والسور، ومن بينها الأطروحة التي كنت عضوًا في لجنة مناقشتها، الموسومة ب: **الهدايات القرآنيّة في سورة غافر**، والتي أعدّتها رانية عويد العواد.

منهجيّة البحث

لقد لفتني دور علم البلاغة في استنباط هذه الهدايات وآثارها البيانيّة، فحاولت في هذا البحث تتبّع بعض ما في سور القرآن مِن وجوه البلاغة ممّا يندرج تحت علم البيان: كالحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة، أو علم المعاني: كالخبر والإنشاء والقصر والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وصيغها وأغراضها، أو علم البديع: كالمحسّنات اللفظية من جناسٍ واقتباسٍ وسجعٍ وتوريةٍ وطِباقٍ ومقابلةٍ وغيرها من الأساليب البلاغيّة، كالاحتباك والالتفات، والتمثيل والسخرية والترغيب والترهيب والتأكيد ...

ولفتني أثر هذه المباحث في استنباط هذه الهدايات القرآنيّة، لذا حاولت في هذا البحث الاستدلال على بعض فروع هذا العلم وتحديدًا ما كان غريبًا عن أرباب هذا الفنّ ونادر الاستعمال، كالاحتباك والالتفات والقصر والتحدّي وحسن الابتداء وحسن الاختتام وغيرها، ذاكرًا ما لها من أثر، لأنّ المقام لا يسمح بالتطرّق إليها جميعها – مع العلم أنّ هذا الموضوع يحتاج إلى أطروحة كاملة حتى يستوفي حقّه من الدرس والعرض– ممثّلًا بأمثلة قليلة عن كلّ أسلوب، مراعيًا حدود البحث المفروض عليّ؛ علّني أظهر شيئًا جميلًا في سجل لغتنا الذهبيّ انطلاقًا من خدمتها لكلام الله تعالى ووحيه.

من صور البلاغة وآثارها في الهدايات القرآنيّة

علم البلاغة علم واسع وأساليبه متعدّدة، ووظائفه كثيرة جليلة، والقرآن الكريم كلام الله المعجز غصّ بهذه الأساليب التي تخدم المعاني والأغراض الدلاليّة والهدايات الربانيّة، ولأنّ المقام لا يسمح بالإحاطة بها جميعها، سأسلّط الضوء على بعضها، ومنها:

حسن الابتداء

وهو ما اختصّت به كلّ سور القرآن الكريم، فكلّ سورة تبدأ بما يلائم أهدافها وهداياتها. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد بدأت سورة الفاتحة وهي أمّ السور وافتتاحيّة القرآن الكريم بالحمد لله، والحمد كما هو معلوم غير الشكر وهو محصور بالخالق المنعم المتفضّل الذي يُحمد على السرّاء والضرّاء. وذلك ليكون الحمد منهاج حياة المسلم من أول حياته إلى آخرها ومن أول يومه إلى آخره، وهكذا... ومنه السور التي بدأت بالحروف المقطّعة، ك: ألم، حم، عسق، كهيعص، وغيرها وهي الحروف المعجزة للعرب عن الإتيان بمثل القرن الكريم الذي أنزل بهذه الحروف التي كتبوا فيها أدبهم وشعرهم.

حسن الاختتام

ميزة ثابتة في سور القرآن الكريم جميعها وتتوافق مع هدايات تلك السورة، فهي تتضمّن خلاصة لما حوته السورة أو تنبيهًا لما سيستقبلك في السورة القادمة. فعلى سبيل المثال: فقد انتهت سورة القيامة بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾، في استفهام تقريري يؤكد ماسبقه من الآيات حول قدرة الله تعالى على خلق الإنسان من العدم داعيًا إيّاه إلى التبصّر والتفكّر والتدبّر بعظيم قدرته.

أمّا سورة الواقعة فقد انتهت بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ وهي دعوة صريحة للمؤمنين لينزّهوا الله عن كلّ نقص وعيب، فإذا بسورة الحديد التي تلي سورة الواقعة من حيث ترتيبها في المصحف الشريف تبدأ بقول الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في استجابة واضحة للأمر الربانيّ المقرّر في ختام سورة الواقعة التي سبقتها.

وقد تكون العلاقة بين بداية السورة وخاتمتها، كما في سورة النحل ففي بدايتها نهيٌ عن الاستعجال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وفي ختامها أمرٌ بالصبر: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، وما بين التّأنّي والصبر خيرٌ لا يعلمه إلا الله.

التقديم والتأخير

أسلوب بلاغيّ منتشر وهو من إعجاز نظم القرآن الكريم ومن أساليب البلاغة الدالّة على الفصاحة والبيان فيه، فإنّا نراه

يقدّم لفظة مرّة ويؤخّرها مرّة أخرى، وقد يقدّم الأدنى قبل الأعلى والعام قبل الخاصّ وهكذا. ولا شكّ في أنّ لذلك معاني عظيمة، ولطائف جليلة، ومن أمثلته: الآيات التي ذكرت الجنّ والإنس، فأحياناً تقدّم الجنّ على الإنس وأحياناً تقدّم الإنسن على الجنّ، فلماذا لا يطّرد تقديم الجنّ باعتبار كونهم خلقوا أولًا؟ أو يطّرد تقديم الإنس إذا كان ذلك لشرف ونحوه؟ والجواب أنّ سبب ذلك التقديم والتأخير هو السياق، ففي سياق التحدّي بالإتيان بمثل القرآن الكريم، جاء تقديم الإنس على الجنّ، لأنّ الإنس هم المقصودون بالتحدّي أولًا فقدّموا، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا﴾. وأمّا في سياق التحدّي بالنفوذ من أقطار السموات والأرض، والقدرة الخارقة فقد جاء تقديم الجنّ؛ لكونهم أقدر وأقوى من الإنس ،كما في قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

التأكيد

وأمثلته كثيرة وفيرة في القرآن الكريم، إذ تكاد لا تخلو سورة منه لما له من دور في دلالات الآيات والهدايات القرآنيّة. وقد يكون المؤكّد بأداة واحدة وقد يكون بأكثر من أداة؛ فمن أمثلة التوكيد بحرف تأكيد واحد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾، مستعملاً أداة التأكيد إنّ ليطمئن المتّقين بحسن العاقبة، ويحثّ العالمين أنّ يكونوا من عداد المتّقين فالجنّة بانتظارهم والنعيم مآلهم ومصيرهم، وهو كثير.

ومن الآيات المؤكّدة بأكثر من أداة توكيد (إنّ ولام التوكيد)، قول الله تعالى في وصف الرسول صلى الله ليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وفي ذلك شهادة لا تقبل النقض ولا الشكّ في خُلُق النبيّ محمد ﷺ ومن ورائها دعوة إلى محبّته واتباعه والتخلّق بأخلاقه. كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ استعمال لمؤكدين اثنين ليدلّ على تصميم إبليس على غواية بني آدم ودعوة للحذر من حبائله وعزيمته وإصراره. وكذلك في قول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ تأكيد على عاقبة الكافرين والتحذير منها. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾. وفي ذلك تأكيد على عاقبة كلّ فريق، وبالتّالي ترغيب بعمل الأبرار وتحذير وتخويف من عمل الفجّار.

التهكّم والسخرية

سخر الله تعالى في كتابه الكريم ممّن أصرّوا على الكفر وجاهروه بالمعصية وتحدّوه، لأنّ مصيرهم يوم القيامة يثير السخرية، ففي قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ {فَالْيَوْمَ} يوم القيامة الذي يقف فيه كلّ إنسانٍ في موقعه الطبيعيّ، في ما يستحقّه من ثوابٍ وعقاب، هو يوم العدل الذي يأخذ فيه المظلوم حقّه من ظالمه، {الَّذِينَ آمَنُواْ} متقلّبون في النعيم، سعيدون برحمة الله ورضاه، شاربون للرحيق المختوم بالمسك الممتزج بالتسنيم {مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} لأنّهم استغرقوا في العاجلة وتركوا الآجلة، فها هم محجوبون عن ربّهم، محترقون بنار الجحيم، خاضعون لكلّ أساليب الإهانة والتأنيب، فأيّة سخريةٍ أكثر إيلامًا من هذه السخريّة التي قد لا يحتاج الناس إلى إثارتها لتثير الضحك، ولكنّ الواقع يشير إلى نفسه في عمليّة ضحكٍ على المصير. مَاذَا استفادوا من كلّ ما قدّموا؟ وهل حصلوا على ثواب أفعالهم؟ وأيّ ثواب هو هذا الثواب؟ {هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} فهل هناك إلا اللهب المتصاعد، والأجساد المحترقة التي تتصاعد منها رائحة الشواء؟ أيّة سخرية

مريرةٍ يواجهونها في كلمة الثواب؟ وأيّ ثوابٍ؟.

وقد استعمل القرآن الكريم كثيرًا من الألفاظ في مجال السخريّة ، ليست أصلاً من ألفاظها ولعلّها تكون ألفاظًا للمدح بدل الذمّ، منها :

التذوّق والذوق: وهذه اللفظة تستعمل عادة للتلذّذ بالأطايب من الطعام والشراب، والحياة الرغيدة المنعّمة، وقد جاءت هنا للتبكيت، والتوبيخ، والهزء، والسخرية، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ . فقد هُزِمَ بنو النضير (اليهود) بعد وقت قليل من هزيمة مشركي مكّة في غزوة بدر وأيّ طعم ذاقوه ؟! فقد طُردوا من ديارهم ، وأخذت أموالهم وبساتينهم وديارهم غنيمة للمسلمين.

وكذلك في قوله تعالى في الكافرين الذين تُشوى جلودهم، حتّى تَنضج كما يَنضج اللحم المشويّ، ففي الدنيا يتذوّقون الطعم اللذيذ لهذا اللحم، وفي الآخرة يذوقون العذاب والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، وقوله تعالى للمتعجرف في الدنيا حين يعذب في الآخرة : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ والأمثلة على هذا وافرة وكلّها تصبّ في هذا الأسلوب البلاغيّ، وتخدم الهدايات القرآنيّة التي تحذّر من سوء العاقبة والوصول إلى هذه النتيجة المؤلمة.

ومن الألفاظ التي استخدمت للسخرية، البشرى: وهي تكون عادة لزفّ الخبر السعيد من ثواب جزيل ومغفرة من الله ورضوانه، لكنّها قد تأتي في القرآن الكريم بمعنى الإنذار والتوبيخ والتحقير والسخرية، كقوله تعالى يهدّد الكافرين والمنافقين بالعذاب الشديد: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوابِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وكقوله تعالى:﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، أمّا الكافر الذي لا يحبّ سماع كلمة الحقّ، ويقتل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فله عذاب شديد أليم، قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وكذلك الذين يكنزون الذهب والفضّة وغيرهم من الأصناف سخر الله منهم باستعماله كلمة البشرى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، والمقصد الإنذار والتخويف، وفي هذا الأسلوب خدمة للهدايات القرآنيّة ليتذكّر أولو الألباب وليعتبر أولو الأبصار.

الترغيب والترهيب

ينصّ الزمخشريّ على أنّ "من عادته عزّ وجلّ في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار". ويذكر ابن كثير أنّه " كثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة، وصفة الجنّة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة، وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا؛ لينجو في كلّ بحسبه ". ومن مقاصد الجمع بين أسلوب الترغيب والترهيب والهدايات القرآنيّة تنشيط عباده المؤمنين لطاعاته، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه.حتّى يكون العبد راغبًا راهبًا، خائفًا راجيًا، ولتبقى النفوس بين الرجاء والخوف. ولأنّ الإنسان مجبول على جلب النفع ودفع الضر، فإنّ الطريق إلى تحصيل هذين الأمرين إنّما يكون باتباع أسلوب الترغيب والترهيب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فهذه الآية فيها ترغيب، ثمّ يأتي الترهيب في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾. وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ، فهذه الآية فيها ترهيب، ثم يأتي الترغيب بعدُ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾.

التحدّي

اصطلاحًا يتّصل اتّصالًا وثيقًا بالمعنى اللغويّ، فهو طلب الإتيان بالمثل على سبيل المنازعة والغلبة؛ فقد ورد في كتاب الله تبارك وتعالى أكبر تحدٍّ لقريش – وهم أهل اللغة والفصاحة والبلغاء – أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقال ربّ العزّة والجلال: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾، ففي هذه الآية يقول الله: قل لهم يا محمّد وأخبرهم بأنّه لو اجتمع الإنس والجنّ واتّفقوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فإنّهم لن يستطيعوا، ولو كان بعضهم لبعض مناصرًا. وفي آية أخرى يقول الله تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي: إن قلتم بأنّ محمّدًا افتراه من عند نفسه فأتوا بعشر سور مثله، واستعينوا بمن استطعتم من دون الله عز وجل إن كنتم صادقين، ثمّتحدّاهم سبحانه وتعالى أن يأتوا بسورة واحدة، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، وهذا الأسلوب يخدم الهدايات القرآنيّة التي تدعو الإنسان إلى الانصياع للخالق والإذعان له وتسليم الأمر بالعبودية له، فقد تحدّاكم بشيء أنتم بارعون فيه وعجزتم عنه، وهذا يعني أنّ عنادكم واستكباركم عن اتّباع الحق هو ضرب من الجنون و انجرار نحو الهلاك.

التهديد

والمتأمّل في القرآن الكريم يجد أنّ أسلوب التهديد لم يأت بصيغة التهديد الصريحة فحسب، بل جاء في العديد من المواضع بطريق التلميح والتعريض، وبطرق أخرى نبيّنها فيما يلي:

- التعبير بصيغة (افعل) وهي صيغة أمر، وليس المراد حقيقة الأمر بل التهديد، كقوله تعالى: ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، فصيغة الأمر ليكفروا وليتمتّعوا ليس المراد منها الأمر بالكفر والتمتّع بالحياة الدنيا، بل المراد حقيقة التهديد، وكأنّ المعنى: استمرّوا فيما أنتم عليه من الكفر والعصيان والتمتّع بزخرف الحياة الدنيا، فسوف تعلمون يوم الحساب عاقبة هذا الكفر والتمتّع. وهذا الأسلوب في صرف الأمر عن حقيقته كثير في القرآن الكريم، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.
- ومن صيغ التهديد التعبير بصيغة العِلْمِ، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ فالأمر بـ (العلم) بأن لقاء الله آتٍ لا مفر منه مشعر بالتهديد. ومن هذا القبيل أيضًا، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾.
- ومن صيغ التهديد التعبير بصيغة (أَفْعَل) والمراد به المبالغة في التهديد والزجر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، ففي الآية تهديد عظيم لمن منع مساجد الله أن تقام فيها العبادة. ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، وهذا غير قليل في القرآن وهو ممّا تبيّنته الهدايات القرآنيّة.
- ومن صيغ التهديد الإملاء للمعرضين والإمداد لهم، والمثال عليه قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾، وهذا كما يقول الأب لولده: افعل ما يحلو لك، فسوف تعرف عاقبة ما تفعله. ونظير هذا قوله

تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾.

التكرير

من أغراض التكرير في القرآن الكريم والتي كان لها الأثر الواضح في الهدايات القرآنيّة والتوجيهات الربّانيّة، أنّه يأتي ل: التّذكير، والتأكيد، والرفع من قيمة الشيء، وتنبيه الغافل، وإزالة التوهّم، وتعديد الآلاء والنعم وقد ظهرت هذه الأغراض جيعها بين ثنايا آي القرآن الكريم، لكن سنكتفي بالتمثيل على بعضها.

والتكرير في القرآن الكريم نوعان:

- النوع الأول التكرير في اللفظ والمعنى، فقد تتكرّر ألفاظ بعينها كما في قوله تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ** ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ** وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وغرض التكرير في هذه الآيات تنبيه الغافلين إلى ما ينتظرهم وتأكيد الخبر عند سامعيه كيلا يضلّوا، وقد تتكرّر آيات بأكملها، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وغرض تكرارها تعديد نعم الله تعالى وتذكير الإنسان بها، وفي قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تنبيه للغافلين وتحذير للجاحدين ووعيد للكافرين.
- النوع الثاني هو التكرير في المعنى دون اللفظ، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾، وغرضه التأكيد على صفاته سبحانه وتعالى ورفع قدره والثناء عليه، وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، إزالة التوهّم عن فعل الملائكة وسلوكهم، وتأكيد انصياعهم التامّ لأوامر ربّهم.

الإيجاز

يعرف علماء البلاغة الإيجاز بأنّه التعبير عن المراد بلفظ غير زائد، ويرون أنّ الإيجاز والاختصار بمعنى واحد؛ ولكنّهم يفرّقون بين الإطناب والإسهاب؛ بأنّ الأوّل تطويل لفائدة، وأنّ الثاني تطويل لفائدة، أو غير فائدة.

ويعدُّ الإيجاز والإطناب من أعظم أنواع البلاغة عند علمائها، حتّى نقل الخفاجيّ عن بعضهم أنّه قال: اللغة هي الإيجاز والإطناب. وقال الزمخشري: كما أنّه يجب على البليغ في مظانّ الإجمال أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصّل ويشبع.

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى في وصف خمر الجنّة: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾، فقد جمع عيوب خمر الدنيا من الصداع، وعدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب. وحقيقة قوله تعالى:﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾. أي: لا يصدر صداعهم عنها. والمراد: لا يلحق رؤوسهم الصداع، الذي يلحق من خمر الدنيا. وقيل: لا يفرّقون عنها، بمعنى: لا تقطَع عنهم لذّتهُم بسبب من الأسباب، كما تفرّق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق. وقرأ مجاهد:﴿لَا يَصَدَّعُونَ﴾، بفتح الياء وتشديد الصاد، على أنّ أصله: يتصدعون، فأدغم التاء في الصاد. أي: لا يتفرقون؛ كقوله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾. وقُرِىءَ:﴿لَا يَصَدَعُونَ﴾، بفتح الياء والتخفيف. أي: لا يصدع بعضهم بعضًا، ولا يفرقونهم. أي: لا يجلس داخل منهم بين اثنين، فيفرق بين المتقاربين؛ فإنه سوء أدب، وليس من حسن العشرة. وقوله تعالى:﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾، قال مجاهد، وقتادة، والضحاك: لا تذهب عقولهم بسكرها، من نزف الشارب،

إذا ذهب عقله. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف. قيل: وهو من نزف الماء: نزحه من البئر شيئًا فشيئًا. فهذا الإيجاز يحمل في طيّاته معاني غزيرة، إجمال من دون إخلال، وقصد من دون إجحاف، أفاد المطلوب وخدم هدايات القرآن الكريم.

الإطناب

وهو التعبير عن المراد بلفظ أزيد من الأوّل. ومن بديع الإطناب قوله تعالى:﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾. ففي قوله: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ تحيير للمخاطب وتردّد، في أنّه كيف لا يبرّىء نفسه من السوء، وهي بريئة، قد ثبت عصمتها! ثمّ جاء الجواب عن ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.

والمراد {النَّفْسَ} النفس البشريّة عامّة. وأمَّارَةٌ صيغة مبالغة على وزن: فعَّالة. أي: كثيرة الأمر بِالسُّوءِ. أي: بجنسه. والمراد: أنّها كثيرة الميل إلى الشهوات، والمعنى: إنّ كلّ نفس أمّارة بالسوء، إلا نفسًا رحمها الله تعالى بالعصمة.

وهذا التفسير محمول على أنّ القائل يوسف عليه السلام. والظاهر أنّه من قول امرأة العزيز، وأنّه اعتذار منها عمّا وقعت فيه ممّا يقع فيه البشر من الشهوات. والمعنى: وما أبرّئ نفسي، مع ذلك من الخيانة، فإنّي قد خنته حين قذفته، وقلت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وأودعته السجن. تريد بذلك الاعتذار مما كان منها، ثمّ استغفرت ربّها، واسترحمته ممّا ارتكبت. وهذا الإطناب سمح لتأويلات عدّة وتفسيرات متعدّدة تخدم السياق القصصي القرآنيّ، وتغني الهدايات القرآنيّة المتوخّاة.

الاحتباك

هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كلّ واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه، كقوله: علفتها تبنًا وماءً باردًا؛ أي علفتها تبنًا، وسقيتها ماءً باردًا. وسمّاه الزركشيّ الحذف المقابلي.

تدبّر الدّقّة البيانيّة في الحذف في الآية التالية، مع إبقاء ما من شأنِهِ أنْ يُعْلِمَنا بالمحذوف. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ الفئة الأولى قال عنها: تقاتل في سبيل الله، والفئة الثانية قال عنها: كافرة؛ الأولى لمْ يسمّها، وذكر السبيل الذي تقاتل فيه، والأخرى سمّاها، ولكنْ لم يذكر في سبيل مَنْ تقاتل، لأنَّ كلّ لفظة أغنتك عن ضدّها، وبضدّها تتبيّن الأشياء، وقد استغنى بذلك عن قوله: قدْ كان لكم آيةٌ في فئتينِ التقتا فئةٌ مؤمنة تقاتلُ في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتلُ في سبيل الشّيطان أو الطّاغوت. وكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾، الْأَصْلُ فَإِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنْتُمْ بُرَآءُ مِنْهُ وَعَلَيْكُمْ إِجْرَامُكُمْ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ فَنِسْبَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِجْرَامِي} وَهُوَ الْأَوَّلُ إِلَى قَوْلِهِ: {وَعَلَيْكُمْ إِجْرَامُكُمْ} – وَهُوَ الثَّالِثُ – كَنِسْبَةِ قَوْلِهِ: {وَأَنْتُمْ بُرَآءُ مِنْهُ} – وَهُوَ الثَّانِي – إِلَى قَوْلِهِ: {وَعَلَيْكُمْ إِجْرَامُكُمْ} – وَهُوَ الثَّالِثُ –كَنِسْبَةِ قَوْلِهِ: {وَأَنْتُمْ بُرَآءُ مِنْهُ} – وَهُوَ الثَّانِي – إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وأنا بريء مما تجرمون} ،وَهُوَ الرَّابِعُ، وَاكْتَفَى مِنْ كُلِّ مُتَنَاسِبَيْنِ بِأَحَدِهِمَا، والاحتباك من روائع الأساليب البلاغيّة التي تخدم الهدايات القرآنيّة.

التمثيل

ومعناه أن تمثّل شيئًا بشيء آخر فيه إشارة إليه، فلو تأمّلنا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. نجد الغرض من تمثيل ذلك، هو تشبيه حاله بحال الكلب ولجعل منزلته وضيعة، ومعنى ذلك: لو شئنا لرفعناه بها ولكنّه

أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته، فمثله كمثل الكلب، فالمراد تمثيله بالكلب في أخسّ أحواله. ومثله قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. فشبّه الذين اتخذوهم متّكلًا ومعتمدًا في دينهم وتولّوهم من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوّة وهو نسج العنكبوت، ليستنتجوا أنّ دينهم هو أوهن الأديان.

القصر

ومعناه تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوصة، وطرق القصر كثيرة، منها:

- النفي والاستثناء سواء كان النفي بلا أو ما أو غيرهما . والاستثناء بإلا أو غير ، نحو قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾، وقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾.
- القصر بإنّما منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ ، بالنصب فإن معناه : ما حرم عليكم إلا الميتة ؛ لأنّه المطابق في المعنى لقراءة الرفع، فإنّها للقصر ، فكذا قراءة النصب ، والأصل استواء معنى القراءتين .

ومنها أنّ (إن) للإثبات وما للنفي فلا بدّ أن يحصل القصر للجمع بين النفي والإثبات، لكن تعقب بأن (ما) زائدة كافّة لا نافية .

- تقديم المعمول، نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وكقوله: ﴿ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾.
- ضمير الفصل، نحو: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾، أي: لا غيره. وكقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. فإذا أتي به في كل موضع ادعي فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله، ولم يؤت به حيث لم يدع ، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾، فلم يؤت به في :قوله تعالى﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾؛ لأنّ ذلك لم يدع لغير الله وأتي به في الباقي لادّعائه لغيره.

ودلالات القصر: التأكيد والحصر ولفت الانتباه وتخصيص شيء بشيء وهو ما ظهر من خلال الأمثلة التي أوردنا من الآيات القرآنيّة، وقد أفاد هذا القصر دورًا عظيمًا في استنباط الهدايات القرآنيّة وفهم مدلولاتها وتحديدًا في قصر العبودية لله وما يتعلّق به سبحانه وتعالى.

الالتفات

هو الانتقال بالكلام من صيغة كلٍّ من التكلّم أو الخطاب أو الغيبة، إلى صيغة أخرى لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتدبّر في مواقع الالتفات، شرط أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدًا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد إليه الضمير الأوّل.

من صور الالتفات:

- الالتفات من التكلّم إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، والأصل: وإليه أرجع، فالتفت من التكلم إلى الخطاب.
- الالتفات من التكلّم إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، حيث لم يقل: فصلِّ لنا.

- الالتفات من الخطاب إلى التكلّم، كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾، على أنّه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب، فالضمير في (قل) للمخاطب، وفي (رسلنا) للمتكلّم .

- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾، فانتقل من الخطاب إلى الغيبة، ولم يقل: يطاف عليكم.

- الالتفات من الغيبة إلى التكلّم، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً﴾، فانتقل من الغيبة إلى التكلّم، ولم يقل: وزيّن.

- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء﴾، ولم يقل: كان لهم.

وفي هذا الالتفات صدمة إيجابيّة للقارئ والسامع، حيث يدفعه إلى مزيد من الوعي والتركيز لمدلولات الآيات وهداياتها القرآنيّة فالانتقال من صيغة إلى صيغة له دوره البيانيّ وسحره الجمالي، إضافة إلى إدراك براعة الربط من خلال هذا الالتفات.

ومن الأساليب البلاغيّة التي كان لها أثر كبير على استنباط الهدايات القرآنيّة: الأسلوب الخبري بأنواعه والأسلوب الإنشائي بطرقه، كالاستفهام، التمني، الحوار، الترجي، النداء، القسم، الأمر، النفي ، المدح، الذمّ، التلقين، المبالغة، التعدّي، الطباق، السجع، الجناس، التشبيه، الاستعارة، الكناية بأنواعها المتعدّدة وغيرها... والتي لا يسمح هذا البحث من التطرّق إليها جميعها.

الخاتمة

جاء القرآن لبيان الحقّ وهداية الخلق، وتثبيت أهل الإيمان وترقيتهم في مدارج الهداية والعبوديّة، ويتطلّب ذلك إدامةَ النظر في آيات القرآن واستخراج الهدايات منه وتأمُّلَها ومعايشتها، وتصحيح التصوّرات والاعتقادات على ضوئها، وتمثُّلها في قول المؤمن وعمله وسلوكه وخلقه، وكلَّما ازداد المرء فيها تأمُّلاً وتفكُّرًا ازداد هدايةً ونورًا؛ فهو في تخليةٍ وتحليةٍ مستمرّةٍ متجدِّدة، كما أنَّ نشر تلك الهدايات وتوعية الناس بها ممّا يزيدُ من أثرها في نفس الداعي والمدعوّ، ولذلك أدوات ووسائل عديدة من أعظمها وأشدّها أثرًا في الناس وعموم المسلمين ما يكون بنشر الوعي العام والإجماليّ لمعاني القرآن بمعناها الكلّيّ العام والجزئيّ التفصيليّ، وذلك بقراءة مختصرات التفسير وتدارسها مع الاهتمام بالهدايات القرآنيّة وتنزيلها على واقع الناس وحياتهم ويوميّاتهم وأحداثهم.

وقد ظهر من خلال ماسبق ومن خلال بعض أساليب البلاغة التي مثّلنا عليها من القرآن الكريم كم كان لعلم البلاغة – وهو أحد علوم الآلة – من أثر في فهم دلالات ال آيات القرآنيّة واستنباط تلك الهدايات القرآنيّة المنثورة في جنبات الآيات، والتي تتطلّب حذاقة ومعرفة بفنون العربيّة وعلومها لاستخراجها وفهمها.

تمّ بحمد الله وتوفيقه في 3 ذي الحجّة 1444 هـ الموافق 21/6/2023 م، في مدينة بيروت– لبنان

د. أبوبكر يحي الذهبي

الحواشي